لشعراء عصره، وهو في غاية النفاسة، رأيته في مجلّد سمَّاه (الحدائق المطلعة من زهور أبناء العصر شقائق). وله مؤلف آخر سمَّاه (اللواحق بالحدائق)، ومختصر في ترجمة جدّه السيد مُحمَّد بن الحُسَيْن. وآخر في ترجمة والده السيد العلَّامة عِيسَى بن مُحمَّد الآتي ذكره إن شاء اللَّه تعالى. وله (خَلع العِذَار في رَيْحان العِذَار)، ورسالة في تحريم الزكاة على بني هَاشِم، وديوان من نظمه ونثره. ولم يكن لَديّ من شعره ما أذكره هنا. وهو ساكنٌ عاقلٌ رصينُ الكلام جيد الفهم حسن الإدراك، كما يُفهم ذلك من تحريراته. ولم أكن قد عرفته، وأرسل إليّ بطلب الإرسال إليه بشيءٍ من شرحي «للمنتقى» فأرسلت إليه بالمجلد الأول، وهو حال تحرير هذه الأحرف لديه. وله شعر لم يكن لديّ الآن شيء منه. ثم (توفي) في شهر شوّال سنة ١٢٢٤ أربع وعشرين ومائتين وألف بعد أن صار منفرداً بفنون العلم في كوكبان، ولم يخلف بعدَه مثله ولا من يقاربه.

(٢٦٧)

(السيد عَبْداللَّه بن لُطْف الباري الكَبْسي ثم الصَّنعاني)

ولد في سنة ١١١٣ ثلاث عشرة ومائة وألف[1] وهو أحد علماء صنعاء المبرزين في علم القراءات والآلات والحديث والتفسير. وكان يُقرئ في جميع هذه العلوم، وله تلامذة صاروا علماء نبلاء. ومن جملة من قرأ عليه الإمام المهدي العبَّاس بن الحُسَيْن قبل مصير الخلافة إليه. وكان زاهداً متقلّلاً من الدنيا، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، وله في ذلك مقامات جليلة. وكان مقبول الكلمة عند الإمام المهدي لا تُردُّ له شفاعة كائنةً ما كانت لمزيد ورعه وعدم طمعه في شيء من الدنيا. وكذلك سائر أرباب الدولة كانوا يُجلّونه ويهابونه. وكان يعمل بالأدلة ويرشد الناس إليها وينفرهم عن التقليد. وله في النهي عن المنكر عناية عظيمة. أخبرني بعض الثقات أنه مشى معه في بعض شوارع صنعاء فرأى رجلاً جندياً وقد أراد الفاحشة من امرأة، أو صار يفعل الفاحشة بها، ففرق صاحب الترجمة بينهما، فسبَّه ذلك الجندي سبّاً فظيعاً، فمرَّ ولم يلتفت إلى ذلك، فقال له الذي كان معه: لو تدعني أعرف هذا الجندي حتى ترفع أمره إلى الدولة ليعاقبوه فقال: الذي وجب علينا من إنكار المنكر قد فعلناه للَّه، ولا أريد أن أفعل شيئاً لنفسي، دعه يَسبُّني كيف شاء. وكان لا يسمع بمنكرٍ إلَّا أتعب نفسه في القيام على صاحبه حتى يزيله. وإذا أُصيب رجل بمظلمةٍ فرَّ إليه فيقوم معه قومةً صادقةً حتى ينتصف له، فرحمه اللَّه وكافاه بالحسنى، فلقد كان من محاسن الدهر،

(١) في نفحات العنبر: وُلِد سنة ١١١٠هـ/ ١٦٩٩م.

وما زال كذلك حتى (توفاه) اللَّه في سنة ١١٧٣ ثلاثٍ وسبعين ومائة وألف، وله أولاد أمجاد منهم العلَّامة مُحْرِز بن عبد اللَّه، من العلماء العاملين الوَرِعين المُنجمعين عن بني الدنيا المُنقطعين إلى اللَّه، وستأتي له ترجمة مستقلة إن شاء اللَّه. وعليّ بن عبد اللَّه، ولُطْف الباري بن عَبْداللَّه، هما من الجامعين بين العلم والعمل بالدليل والاشتغال بخاصة النفس، ولم يسلموا مع ذلك من مِحَن الزمن اللواتي هُنّ شأن أرباب الفضائل.

(٢٦٨)

(عَبْداللَّه بن أبي القَاسِم بن مِفْتَاح شارح الأزهار)[١]

الشرح الذي عليه اعتماد الطلبة إلى الآن. كان مُحققاً للفقه. ولعله قرأ على الإمام المهدي مصنف الأزهار. وكان مشهوراً بالصلاح، وميل الناس إلى شرحه، وعكوفهم عليه، مع أنه لم يشتمل على ما اشتمل عليه سائر الشروح من الفوائد. دليل على نيّته وصلاح مقصده، وهو مختصر من الشرح الكبير للإمام المهدي المُسمَّى «بالغيث». وتوفي رحمه اللَّه يوم السبت سابع شهر ربيع الآخر سنة ٨٧٧ سبع وسبعين وثمانمائة وقبره يماني صنعاء، وكان عليه مشهد، وقد تهدّم. ورثاه مُحمَّدً بن عليّ الزحيف بأبيات منها: [من الطويل]

سَقَى جَدَثاً أَضْحَى بِصَنْعاءَ ثاوياً مِنَ الدّلوِ والجَوْزاءِ غَادٍ وَرايحُ[٢]

ورثاه يَحْيَى بن مُحمَّد بن صَالِح حَنَش بقصيدة مطلعها: [من البسيط]

أَمَّا عَلَيْكَ فَقلبي دائمُ الفَزَعِ وَكَيْفَ أَسْلو وَوَجْدي غَيْرُ مُنقطعِ[٣]

(٢٦٩)

(عبد اللَّه بن مُحْسِن الحَيْميّ ثم الصَّنعانيّ)[٤]

ولقد تقريباً سنة ١١٧٠ سبعين ومائة وألف بصنعاء، ونشأ بها وتلا بعض القراءات على بعض شيوخ القرآن ثم قرأ في الفقه على شيخنا أحمد بن عَامِر الحدائي قبل قراءتي عليه، ورافقني في قراءة النحو على شيخنا عبد اللَّه بن إسْماعيل النهمي،

---

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٦/ ١٠٤؛ الأعلام: ٤/ ١١٤.

(٢) الجَدَثُ: القَبْرُ. الثاوي: المقيم. الدلو، والجوزاء: من أبراج السماء. غادٍ ورايحٌ: مُصبحٌ ومُمْسٍ.

(٣) السُّلُوُّ: النسيان مع طيب نَفْسٍ بالفراق.

(٤) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٦/ ١٠٦؛ نيل الوطر: ٢/ ٩٥.